خواطر .. في ليلة الميلاد

عودي نداماك انتظار مشردٍ ورؤى غريب
عودي وخليني لقافلة الغـروب
قدمي مسمرة هنا ،
كفّي هناك ،
وفي مدى صدري تراب الـه ،
دنيـــا تزلزل ،
عالم ، وطـن سليب ...
عودي بما ارسلت من خمر وطيب

خلّيه جلجلة ، معاناة بلا جدوى ، صليب
خليه ، خليني هنا سأمان
لا بـيروت تنسيني
ولا الخيَم المرقعة الجنـوب
الليل في عينـي والصحرا
تكوم رملها المخذول في صدري الكئيب
لا طفل ، لا زينات ،
لا غصن ببيتي ، لا صديقة او حبيب ..
عودي نداماك انتظار مشرد ورؤى غريب .

ـ : « لا شيء ينسى السأم الملعون غير النار
يشعل فحمها خد ، شفاه ،او ، او مجامر من نهود
لا شيء غير الدوخة الحمراء تختصر الوجود
مجنون ، كيف طردتها في ليلة الميلاد
لم ؟ التصرف الساعات محموما وحيد ؟
مجنون ... هيا ، نادها ،
قل : يا .. اريدك كالدني ،
قل : ليس عارا ان اريد » ...

يا قد أتيتُ بلا جفون ، بلا اله ، بلا كرامه
شفتاي ترتقبان ميلادا جديدا
فجره عري ، كؤوس ، قصف انخاب ،
رياحـين ابتسامه
عينـاك يا انت الخلاص ،
غدي ، صليبيَ ، والقيامه
عيناك يا انت السلامه ...
وعصرت نهديها ، قضمت شفاهها ،
وبكيت : لا جدوى ، دمامه
بعـد الوجـود باضلعي ،
بعد الصغار بطهرهم يلغون : « يا جهل النعامه
عبثا يغير زيه العملاق ،
يستقمي وتفضحه الوسامة »...
شبق الزنوج محته من ازل الوجود
بأضلع الغرباء انياب السآمه ...

الميتون على دروبي يضحكون : « بيوتنا خشب وطين
والسيـاج صفائح ،
رمل ، براميل ملونة الظهور ، لنا بيوت
وكوامد يحكين قطعان المعيز
على سواد وجوههن تنام اغربة
وينسج عنكبوت
والرز والتمر المخلد ـ ما الذي نرجوه ماذا ؟ ـ
والربابة بعدهـا
والشاي والراوي المقيت » ...
الميتون على دروبي يضحكون ، يسبّحون بحمده :
« نعم الحيـاة ، لنا بيـوت » ...

تعـب الجميـع
تعبي تغوص بلحمه اقدام ساقطة هناك ،
دمي يزين بيت « قوّاد » هنا ،
عرقي يضيع
وكما تموت بعرسها العذراء آمالي تموت مع الربيع

يا قرد لا ترقص ، ويرقص باسما
فــوق احتراقيَ ،
ويله ما عاد يعرف ما الدموع .
انا قد عرفتُ من الوضيع وهم على اعتابه
غلمان ماخور ،
جباه كاد يركلها الخنوع .

أمي تقول لهن : « يرجع مثلما زهر الربيع ،
يداه كنز ، وجهه الخيرات »
امي ليس تعرف ما تقول
خاوي اليدين غدا سأرجع
لا بذور ولا مواسم في الحقول
غيري يبيع جبينه ،
يزهو ، يحدث صبية الجيران
عن عبداله ، عن ركوع في الزرائب ،
عن جهــول ...
أمي تقول لهن : « يرجع مثلما زهر الربيع ،
يداه كنز ، وجهه الخيرات »
أمي ليت تعرف ما تقول ..

ولكم بكيتُ لاجلها ، مزقت اغطية الفراش ،
لعنت في الصمت النجوم ،
دفنت وجهي في التــراب
ولكم حلمت بها تؤنبني : شبابك ،
تشتكي : طولت ،
ترمق موضعي الخاوي ،
تنسم بعض ريحي في الوسائد ،
والغطاء وفي الكتاب
ما زلت اسمعهــا تردد في السكون :
« اما سئمتَ من اغتراب ؟
أأظل يا ابني احدقتيْ عينين
سمرتا بسوق سوف تعبره وباب ؟ »

تعب النفاضة في دمي :
« قدمــاك رقدتا ،
مضي زمن التعلق بالقطــار ،
مضى القطــار
ما نفعه غرس الازاهر في القفار
لن تستحيل حدائقا ،
كرما وزيتونــا ودار
لن تستحيل الى انتصار
يغري هواجس حالم يبكي ،
يدق براسه الحيطان ،
يشتم آلهة ، قدرا ، كبارا وسخوا الدنيا ، صغار
لن يستحيل الى انتصار »
تعبُ النفاضة في دمي
ما نفعه ان لم يصر زيتونة ،
توتا يعرش فوق دار ؟ ...

نجم تململ في ضلوعي ، فوق داري ،
انه الميــــلاد ،
هل يأتون ــ قافلة الزنوج ، صنائع الوثن العتيق
كفي لهم ــ مبسوطة ــ هل يزحفون من الهوى ــ
قلبي على الشوك العصي لهم طريق
طفلي لاجلهم سيصلب ــ هل اتوا ؟ ــ
سيــــان
اجنحتي ستنبت بعد حين ثم يبتدىء الحريق ..
لا ذنب لي ، لا ذنب للصبح المرفرف
ان يد الخفاش ذر رمادها وهج الشروق ...

صلي له يا ارضنا السمراء صدرا صاعدا
ويدا تغلفها الجروحْ ،
صلي ، وباسم عطاه مدي الصبح في الافق اليباب
وفي شرايين الكسيح
ولتلقف النيران ما كان ــ الهزيمة ،
عارنا ، نتن الفساد وكل ريح ...
صلي لنا في ثورة الفولاذ ،
في قصف المدافع ارضنا ، صلي لميلاد المسيح ..

قطــر ــ **حسن النجمي**